فلسفة العمارة

عنوان المحاضرة

العمارة بوصفها معرفة

كل ما يصنعه الانسان من اشياء، يستعمل فيها المعرفة ويصنع منها المعرفة ايضا

والمعرفة قول، والقول يكون ممكنا من خلال لغة

اللغات كثيرة، ليست لغة الكلمات سوى احدها

العمارة لغة والفن لغة ... ولكل شيء لغة

بالطبع تختلف هذه اللغات من واحدة الى اخرى

لغة العمارة غير لغة الكلمات وغير لغة الموسيقى

لكن الكل يصنع معرفة مستعملا لغته وطريقته في القول

العمارة تقول معرفة بلغتها، والموسيقى تقدم معرفة بلغتها، والقصة تأتينا بمعرفة بلغتها

كما ان كل واحدة من هذه ولكي تصنع منتوجاتها، لابد ان تستعمل معرفة ايضا

موضوع انشغالنا هو العمارة

العمارة كي تصنع المبنى تستعمل المعرفة

اشكال مختلفة من المعرفة تستعملها العمارة كي تصنع المبنى

معرفة علمية انشائية ومعرفة انسانية اجتماعية تخص شاغلي المبنى والتعرف على نمط حياتهم وكيفية اشغالهم المبنى

معرفة تخص المبنى بوصفه مبنى مكون من مواد بناء ونظام انشائي و و

ومعرفة تخص موقع المبنى مثلا وخصائصة الجغرافية والتاريخية ايضا

ومعرفة تخص الانسان الذي يشغل المبنى

اشكال عديدة ومعقدة من المعرفة نحتاج اليها كي نصنع المبنى

ولكن هذا الامر هو جزء من المسألة

ان العمارة تستعمل المعرفة كي تنتج الابنية

الجزء الاخر المهم ايضا هو

ان العمارة حينما تصنع المبنى تنتج معرفة ايضا

يقول المعماري تشومي

ان العمارة انشغلت بكونها معرفة للشكل عن كونها شكل من المعرفة

طبعا الاشارة الى الشكل هنا مسألة مهمة وجوهرية، لماذا

لان كل ما يخص المبنى يظهر في شكله

فالشكل هو مسرح تجلي ماهية الشيء

لا شيء يتدخل في الماهية من دون ان يكون له حضور في الشكل او تدخل في تشكيل الشكل

اذن الشكل المعماري يحظى بالاهمية هنا حين نتحدث عن المعرفة في العمارة

أي ان أي معرفة تقدمها العمارة فإنها تقدمها في الشكل المعماري

الشكل طبعا يمثل صورة المبنى، بمعنى

كل مقومات الشكل فيها وجميع معطياته الشكلية وليس يعني الشكل الهندسي لوحده ، فالشكل هنا

Form not shape

تشومي يرى انشغال العمارة بمعرفة الشكل ونسيان انها شكل من المعرفة

يريد ان يقول ان مهمة العمارة ليست في مجرد انتاج الشكل

وان الشكل المعماري يكون شكلا ذا مهمة معرفية

اي ان يقدم معرفة ولايكون شكلا لمجرد الشكل ولمجرد نوايا شكلية

بالطبع ان انتاج الشكل في العمارة يستعمل كما قلنا الكثير من اشكال المعرفة

ولكن هذه مسألة بديهية واتمنى ان تكون واضحة

نحن نستعمل كل مادرسناه وندرسه من معرفة كي نتعلم كيف نصنع المبنى

لكن علينا ان نتذكر ان المبنى الذي نصنعه وبمثل ما يستهلك المعرفة

عليه هو ايضا ان يصنع المعرفة وينتجها

المعرفة كما قلنا تمثل قول الشيء بلغته التي ينطقها

والمعرفة التي تقدمها العمارة تكون بلغة العمارة

وهي ليست مثيل لغة الكلمات

لان لغة العمارة هي لغة شكلية ومفرداتها وقواعدها شكلية

نحن نستعمل الاشكال ونرتبها في علاقات وننتج شكل المبنى

الان شكل المبنى هذا عليه ان لا يكون مجرد شكل

وانما يكون شكلا ذا معنى اي انه شكل يقدم معرفة

طبعا المعرفة ، لكونها بلغة الشكل في معرفة بمفردات شكلية

الامر طبعا يستدعي في النهاية ان نستعمل الكلمات ولغة الكمات في ترجمة المعرفة الموجودة في الشكل المعماري

وهو امر لابد منه في اي تعاطي للمعرفة وتداول لها بين الجماعة

لابد من استعمال لغة الكلمات التي تقوم بترجمة وتفسير لغة العمارة وتوضيح المعرفة الموجودة في شكل المبنى

حسب تشومي ، فالعمارة معرفة شكل اي صناعة شكل

ولكن الشكل عليه ان يقدم معرفة ايضا

فهما وجها عملة واحدة ، الشكل والمعرفة التي يقدمها

تشومي يريد ان يذكرنا بأن الشكل المعماري عليه ان لايكون شكل لمجرد الشكل وانما عليه ان يكون شكل يقدم معرفة

يبدو لي ان الشكل المعماري حين يتشكل فإنه يتضمن العديد من المعرفة والقرارات المعرفية

فنحن مثلا لو نبدأ في موقع المبنى

نجد ان اختيار الموقع هو قرار ناتج عن دراسة تفصيلية لملائمة الموقع لطبيعة المبنى واحتياجاته وسبل الوصول اليه ومؤثراته المكانية الزمانية من جغرافية وبيئة وعمارة مكان وابنية او معطيات مكانية مؤثرة و و

مسألة في غاية التشعب ، لو حاولنا ان نفكر في عمق الدراسة المنجزة قبل اختيار موقع المبنى فهو قرار يستعمل الكثير من المعرفة

وموضوعنا و سؤالنا ماهي المعرفة التي ينتجها قرار اختيار الموقع

نحن نبحث الان في المعرفة التي يقدمها المبنى وليست المعرفة التي يستعملها او يستهلكها

لاحظ

ان اختيار هذا الموقع دون سواه هو انحياز للموقع واعتراف بأنه مناسب لاستعمال المشروع

كما ان المبنى وهو يصمم ، يتعامل مع الموقع ويتفاعل معه ، بحيث ان شكل المبنى يكشف عن خصائص الموقع وميزاته ومعطياته

فالمبنى يتسبب في جلاء وتكشف ماهو كامن من قدرات في الموقع ، وتلك مهمة العمارة التي على المبنى الناجح ان يتكفل بها

ثم ان المبنى وهو يتشكل متفاعلا مع الموقع ومعطياته ، تراه يفتح النوافذ هنا ويغلق هناك ، يزيد في المساحات الشفافة هنا ويمد في المساحات الصلدة هناك وهكذا

فهذه قرارات فيها وصايا تشير الى الموقع وميزاته وقدراته

فهي ليست قرارات شكلية وحسب ، وإنما هي قرارات تقدم اراء وتوصيات تخص الموقع ، وتلك مقولات معرفية للمبنى عن الموقع الذي يكون فيه

وقل الشيء نفسه عن اللغة المعمارية التي يختارها المبنى في شكله ونوع المواد المستعملة و و

فإن اختيار المبنى للمادة البنائية التي يظهر عليها شكل المبنى هو انحياز للمادة واعتراف بجمالها وقدراتها التعبيرية

ثم ان التعامل الشكلي مع المادة البنائية ، وسعي المبنى الى استثمار قدرات تشكيل المادة ، هو كشف عن امكانات المادة بما يمثل قولا شكليا يشير الى طبيعة المادة وهي تتشكل وتتمكن من العطاء الجمالي

كيف تقدم العمارة قولها وكيف تنطق بمعرفتها التي تريد ان تقدمها

يكون ذلك بلغة العمارة الشكلية وتأثيراتها الشعورية على الانسان المتلقي

اذ ان المعرفة التي تقدمها العمارة هي معرفة حسية وشعورية وليست معرفة علمية برهانية مثلا ، فهي لا تستعمل لغة المعادلات الحسابية وانما تستعمل لغة الاشكال والقدرة على انتاج الجمال والتأثير الحسي في الانسان

فهي اذن معرفة حسية ، والمعرفة الحسية ناتجة عن قراءة لغة الشكل

وبالطبع يمكن ترجمة الشعور والاحساس الذي ينتج عن شكل المبنى ترجمته الى افكار من خلال لغة الكلمات وبذلك نكشف عن الكم المعرفي الذي يقدمه شكل المبنى

بالطبع لا تكون المعرفة ذات قيمة الا بأن تكون معرفة جديدة

فالقول حتى بلغة الكلمات عندما يعيد قولا سابقا ويعيد تقديم معلومة سابقة ، فهو لايكون قولا ذا معرفة ، ولكن يستعيد معرفة موجودة ، فيكون قولا قليل القيمة

لان القول صاحب القيمة ، هو القول الذي يقدم معرفة جديدة

وفي لغة الشكل المعماري فإن المهمة الكبيرة والتحدي المعرفي

هو ان يقدم الشكل المعماري بلغته قولا جديدا ، وان لايعيد ويكرر اقوالا سابقة

وتلك هي مهمة الابداع في العمارة ، ان يعيد انتاج الشكل واللغة المعمارية بطريقة جديدة ، ويقدم بذلك قولا جديدا

وعندها يكون الشكل صاحب منجز معرفي

اما اذا استعمل المبنى شكلا سابقا وقدمه بطريقة متوقعة ، فيكون الشكل خاليا من الجديد الذي يمثل اسهامه واضافته المعرفية المطلوبة

ما الذي يقدمه المبنى في المعرفة التي ينتجها

المبنى اولا يقول معرفة عن نفسه وماهيته ، يقول المبنى ما هو ، وتلك معرفة تتجلى في شكل المبنى

ومن هنا سؤالنا لشكل المبنى عن المبنى ما هو

كما ان المبنى يقول معرفة عن سواه

وطبعا هذا السواه ، يكون متعددا ومعقدا ويمثل ميدان ابداع المبنى في المعرفة التي يقدمها

قلنا مثلا ان المبنى يقدم قولا ومعرفة عن موقعه وشكله ومواد بناءه ومختلف معطياته الشكلية

كما ان المبنى يقدم قولا ومعرفة عن الوظيفة التي يخدمها ، فالبيت يقدم قولا عن البيت ما هو وكيف يمكن ان يكون

والمبنى الاداري يقدم معرفة عن المؤسسة التي تسكن فيه ، ويقدم معرفة في الاعلان عنها والدعاية لها والانحياز الذي يقود الجمهور اليها وهكذا

المبنى يمكن ان يقدم معرفة عن المدينة التي يسكنها على الرغم من سعتها ، فهو يمكن ان يقدم قولا عنها وفيها

ان حضور المبنى في المدينة يقدم له فرصة ان يسهم في صنع البيئة الجمالية والشعورية التي تغير في وجه المدينة وتزيد في اشراقه ، وذلك يتحقق من خلال معرفة حسية جديدة ومتجددة من خلال منجز شكلي ابداعي للمبنى

ليس من الغريب ان نشير الى ان ابنية معينة قد غيرت من وجه مدن

او ان ابنية معينة تكون سببا في ان يقصد الناس مدنا تسكنها تلك الابنية

وليس غريبا ان نقرأ في شكل بعض الابنية الكثير من القول عن المدينة وتاريخها وعظمتها

تلك وسواها منافذ ومسارح لقول المبنى والمعرفة التي يصنعها

العمارة تقدم قولا عن العالم من خلال ما تصنعه من بيئات معمارية

العمارة في كل مبنى تعيد قولها في العمارة ما هي وكيف يمكن ان تكون

العمارة تقدم قولا في مفهوم الانسان عن الوجود في العالم بوصف الانسان يوجد في العالم في هيئة من يسكن فيه

التجديد في قول العمارة الحسي والشعوري ، هو ايفاء لحاجة اساسية تتعلق بالرغبة في المزيد المتجدد من المعرفة الحسية والجمالية في المدينة

العمارة تضخ المعرفة في العالم من خلال ما تقوم به من فعل في صنع امكنته ومنحها اشكالا مميزة ومتجددة

من قبل الكتاب الذي ندون فيه معرفتنا ، كانت العمارة مدونة الخطاب المعرفي الانساني ، وما تزال تتكفل بهذه المهمة الكبيرة